

دراسات في السيرة والتاريخ
لماذا عزل عمر خالداً
رضي الله عنهما

إبراهيم بن محمد الحقييل[*]

مقام الصحابة - رضي الله عنهم - مقام جليل عند الله تعالى ؛ فقد اختارهم من بين العالمين لصحبة أفضل المرسلين ، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وأقام الله تعالى على أيديهم الدين الحنيف في ربوع الأرض ؛ فلهم من المنزلة عند الله تعالى ما ليس لغيرهم - خلا النبيين والمرسلين عليهم السلام - ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ؛ كما قال الله سبحانه : **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ هَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ** [(التوبة : 100)] .
ولهم من المنزلة عند الموحدين من المسلمين ما ليس لغيرهم ؛ فهم يعرفون لهم فضلهم ومكانتهم التي بوأهم الله تعالى إياها ، فيحبونهم ويوالونهم ، ويبغضون من أبغضهم ، ويعادون من عاداهم .

ومحبة المؤمنين للصحابة - رضي الله عنهم - هي جزء من محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أن بغض أهل الضلال من الكفار والمنافقين والمبتدعة للصحابة - رضي الله عنهم - هو جزء من بغضهم للنبي صلى الله عليه وسلم قصدوا ذلك أم لم يقصدوه ، علموه أم جهلوه . قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : **« اعتبروا الناس بأخذانهم »** [1] ، وقال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : **« إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك ؛ فقدحوا في أصحابه حتى يقال : رجل سوء ؛ ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين »** [2] .

وبغض الصحابة - رضي الله عنهم - وانتقاصهم هو في واقع الأمر بغض للدين وانتقاص له من وجهين :
الوجه الأول : أنهم على دين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهم أصحابه وأخلاؤه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : **« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »** [3] ؛ فدينهم هو دين النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتقاصهم هو انتقاص لدينهم .

الوجه الثاني : أنهم حَمَلَةُ الدين وناقلوه إلينا . قال أبو زرعة الرازي - رحمه الله تعالى - : **« إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ؛ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة ، والجرح أولى بهم وهم زنادقة »** [4] .

ومن أعظم ما يزهّد الناس في شريعة الله تعالى القدح في تَقَلَّتْها ، وقد رأينا كيف أن أعداء الإسلام من مستشرقين حاقدين ، ومنافقين مندسين لا يجترئون على القدح المباشر في الشريعة ؛ لئلا يثيروا الناس ، ولكيلا ينقروا من أقوالهم وطروحاتهم المتزندقة ، يعمدون إلى غمز الصحابة - رضي الله عنهم - ولمزهم ، وإبراز الروايات المنكرة والموضوعة ، واختزال التاريخ الإسلامي كله فيها ، ومن ثم تقديمها للناس على أنها خلاصة تاريخ المسلمين ، وواقع السابقين من الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ، والقادة المجاهدين ، على شكل قصص أو روايات ، أو دراسات تاريخية ، أو ما أشبه ذلك . وكثيراً ما تُقَدَّم هذه الكتابات الطاعنة في الصحابة - رضي الله عنهم - في قالب يزعم أصحابه الحيادية والموضوعية

التاريخية ، ويدَّعون أنهم ينطلقون في كتاباتهم عن الصحابة - رضي الله عنهم - من فراغ عن أي خلفيات فكرية مترسبة قد تؤثر بالحكم سلباً أو إيجاباً على الروايات المنقولة عنهم . والمقصود من هذه المقدمات التي يقدمونها في كتاباتهم الطاعنة في خير البشر بعد النبيين إكساب القارئ الطمأنينة فيما يكتبون ، وجعل أنفسهم محل ثقته وقبوله .

ولا خير فيمن يكتب عن رجال الأمة الفضلاء وهو يعلن عدم انحيازه لهذه الأمة ؛ بل اتخذ بدلاً عنهم أعداء الإسلام من المستشرقين والمبتدعة ، فأنحاز إليهم بفكره وقلمه ، ثم إذا هو يزعم الموضوعية والحياد فيما يكتب ، وكاد المرئ أن يقول : خذوني !!

وخلال سنوات مضت وقفت على كتابات عدة من مقالات ودراسات وقصص تبرز مسألة عزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد - رضي الله عنهما - عن قيادة الجيوش ، وتسلط الأضواء على روايات ونقول لا تليق بمقام الصحابة الجليل ، وتتغافل عن المتواتر من المنقول الذي يُظهر حقيقة ما كانوا عليه من الإيمان والتقوى والورع والتجرد في أقوالهم وأفعالهم ؛ رضي الله عنهم وأرضاهم .

وراح كثير منهم ينسج جملة من الأوهام والترهات المستندة إلى روايات منكورة باطلة ، ويزيدون عليها ألف كذبة من ترهات عقولهم المريضة ، وأحقادهم الدفينة ، شأنهم شأن الكهان ، ثم سمعت عمن يتناقل شيئاً من ذلك عبر الفضائيات في حوارات وندوات .

وليس الأمر كما ذكر المفتونون في دينهم ، المخذولون بالقدح في الصحابة - رضي الله عنهم - ؛ إذ إن الأمر لا يعدو أن يكون اجتهاداً رأى فيه الفاروق مصلحة المسلمين ، وكان هذا الاجتهاد من عمر - رضي الله عنه - نتيجة لأعمال عملها خالد - رضي الله عنه - كان مجتهداً فيها أيضاً ، أصاب في بعضها وأخطأ في بعضها ، وكلاهما - رضي الله عنهما - بين أجر وأجرين .

* أسباب عزل عمر لخالد - رضي الله عنهما - :
اختلف أهل السير والمغازي في السبب الذي جعل عمر يعزل خالداً عن قيادة الجيوش ، وحاصل ما ذكروا أسباب ثلاثة :

السبب الأول : أن عزله كان بسبب شدته ، وكان عمر - رضي الله عنه - شديداً ؛ فما أراد أن يكون الخليفة شديداً وقائد الجيوش كذلك . وكان أبو بكر - رضي الله عنه - ليناً فناسب أن يكون قائداً جنده شديداً ، فلما ولي عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة ، وكان أبو عبيدة ليناً ، فناسب مع أبي بكر ولينه خالد وشدته ، وناسب مع عمر وشدته أبو عبيدة ولينه ، رضي الله عنهم .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة بن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ؛ فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد » [5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنه - ما زال يستعمل خالداً في حرب أهل الردة ، وفي فتوح العراق والشام ، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل ، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى ، فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها ؛ لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه ، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه ؛ لأن المتولي الكبير - أي الخليفة - إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغي أن يكون خلقه يميل إلى الشدة ، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة فينبغي أن يكون خلقه يميل إلى اللين ؛ ليعتدل الأمر ؛ ولهذا كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يؤثر استنابة خالد ،

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يؤثر عزل خالد واستنابة أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - ؛ لأن خالداً كان شديداً كعمر بن الخطاب ، وأبا عبيدة كان ليناً كأبي بكر ، وكان الأصلح لكل منهما أن يتولى من ولاه ليكون أمره معتدلاً» [6]

ويؤيد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أن عمر - رضي الله عنه - لما كان يسعى إلى عزل خالد أيام أبي بكر - رضي الله عنه - كان يقول : « اعزله ؛ فإن في سيفه رهقاً ، فقال أبو بكر لا أشيم - أي لا أغمد - سيفاً سله الله على الكفار » [7]

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « والمقصود أنه لم يزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحرض الصديق ويذمُّه [**] على عزل خالد عن الإمرة ، ويقول : إن في سيفه لرهقاً ؛ حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة ، وقد لبس درعه التي من حديد ، وقد صدئ من كثرة الدماء » إلخ [8]

ويشهد لشدة خالد أيضاً قتله للأسرى لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني جذيمة ؛ فقتل الأسرى الذين قالوا : صبأنا صبأنا ، ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا فَوَدَّاهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد إليهم ميلعة الكلب [9] ، ورفع يديه ، وقال : « اللهم ! إني أبرأ إليك مما صنع خالد » [10] .
قال الخطابي - رحمه الله تعالى - : « الحكمة في تبرُّئه صلى الله عليه وسلم من فعل خالد مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهداً أن يعرف أنه لم يأذن له في ذلك ، خشية أن يعتقد أحد أنه كان بإذنه ، ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله » اهـ . ملخصاً .

وقال ابن بطال - رحمه الله تعالى - : « الإثم وإن كان ساقطاً عن المجتهد في الحكم إذا تبين أنه بخلاف جماعة أهل العلم ، لكن الضمان لازم للمخطئ عند الأكثر ؛ مع الاختلاف ؛ هل يلزم ذلك عاقلة الحاكم أم بيت المال ؟ » ، قال الحافظ ابن حجر متعقباً قول ابن بطال - رحمه الله تعالى - : « والذي يظهر أن التبرؤ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله ولا إلزامه الغرامة ؛ فإن إثم المخطئ مرفوع وإن كان فعله ليس بمحمود » [11] .

وكذلك قتله - رضي الله عنه - لمالك بن نويرة اليربوعي ، وملخص خبره : أن مالكاً صانع سجاجاً التميمية التي ادعت النبوة ، ثم ندم مالك على ما كان منه ، وقصد خالد البطح وعليها مالك ، فبث خالد السرايا في البطح يدعون الناس ، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة ، وبذلوا الزكوات ، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير في أمره ، متنح عن الناس ، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه ، واختلفت فيهم السرية ؛ فشهد أبو قتادة الحارث بن ربيعي الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة ، وقال آخرون : إنهم لم يؤدِّنوا ولا صلوا ، فيقال : إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة باردة شديدة البرد ، فنادى منادي خالد أن دفنوا أسراكم ، فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم ... فلما بلغ ذلك خالد قال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقيل : إن خالداً استدعى مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاج ، وعلى منعه الزكاة ، وقال : ألم تعلم أنها قرينة الصلاة ؟ فقال مالك : إن صاحبكم كان يزعم ذلك . فقال : أهو صاحبنا وليس بصاحبك ؟! يا ضرار ! اضرب عنقه ، فضربت عنقه ، وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً ، فأكل خالد من القدر تلك الليلة ؛ ليرهب بذلك الأعراب من المرتدة وغيرهم . واعتذر خالد من فعلته تلك بمالك لأبي بكر لما استدعاه ، فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك ، وودي مالك بن نويرة [12] .

السبب الثاني : أن عمر - رضي الله عنه - عزل خالدًا - رضي الله عنه - لما كان ينفق من أموال الغنائم دون الرجوع إلى الخليفة ، كما روى الزبير بن بكار - رحمه الله تعالى - قال : « كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ، ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً ، وكان فيه تَقَدُّمٌ على أبي بكر ، يفعل أشياء لا يراها أبو بكر » .

ونقل الزبير بن بكار عن مالك بن أنس قوله : « قال عمر لأبي بكر : اكتب إلى خالد لا يعطني شيئاً إلا بأمرك . فكتب إليه بذلك ، فأجابه خالد : إما أن تدعني وعلمي ، وإلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزئني جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت . فتجهز عمر حتى أتى الظهر في الدار ، فمشى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر فقالوا : ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه ؟ وما بالك عزلت خالدًا وقد كفاك ؟ قال : فما أصنع ؟ قالوا : تعزم على عمر فيقيم ، وتكتب إلى خالد فيقيم على عمله . ففعل ، فلما تولى عمر كتب إلى خالد أن لا تعط شاة ولا بعيراً إلا بأمري ، فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر . فقال عمر : ما صدقتُ الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه . فعزله ، ثم كان يدعوه إلى أن يعمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما يشاء ، فيأبى عمر » [13] .

ويؤيد ذلك ما نُقل عن عمر من قوله : « إنني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه ، وما كان يصنع في المال » [14] .

وذكر الحافظ ابن كثير ذلك فقال : « وقيل : عزله ؛ لأنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف ، حتى إن خالدًا لما عُزل ودخل على عمر سأله : من أين لك هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأنفال والسهمان » [15] .
ويؤيده ما رواه الإمام أحمد بسند جيد ، أن عمر - رضي الله عنه - اعتذر من الناس في الجابية فقال : « وإنني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد : إنني أمّرت أن يحبس هذا المال على صَعَقَةِ المهاجرين فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسانة ، فنزعتُه وأمّرتُ أبا عبيدة » [16] .

السبب الثالث : أن عمر عزل خالدًا - رضي الله عنهما - خشية افتتان الناس به ؛ فإن خالدًا - رضي الله عنه - ما هُزم له جيش لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وقد جمع الله تعالى له بين الشجاعة والقوة والرأي والمكيدة في الحرب ، وحسن التخطيط والتدبير والعمل فيها ، وقل أن تجتمع هذه الصفات في شخص واحد .
ويدل على ذلك ما يلي :

1 - أن عمر - رضي الله عنه - كتب إلى الأمصار : « إنني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه ، ولكن الناس فُتتوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع » [17] .

2 - ما رواه سيف بن عمر أن عمر - رضي الله عنه - قال حين عزل خالدًا عن الشام ، و المثنى بن الحارثة عن العراق : « إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله تعالى نصر الدين لا بنصرهما ، وأن القوة لله جميعاً » [18] .

3 - قول ابن عون : « ولي عمر فقال : لأنزعنَّ خالدًا حتى يُعلم أن الله تعالى إنما ينصر دينه . يعني بغير خالد » [19] .

فقد يكون عزله لسبب من هذه الأسباب ، أو لها مجتمعة ، ورأى عمر - رضي الله عنه - المصلحة في عزله .

وأما تَقَدُّمُ خالدٍ على الخليفة ، ودفعه للأموال دون مراجعته فقد كان اجتهاداً منه - رضي الله عنه - ، ولعله رأى تأليف قلوب من يعطيهم ، ولا سيما أنه كان - رضي الله عنه - خبيراً بالحرب ، عارفاً بمكايد عدوه ، فلا يُظن به إلا أن يعطي

من ينتفع بالإسلام بإعطائه ، أو يكفي الإسلام شره . وكذلك شدته كانت للإسلام ونصرته ، أراد أن يُرهب أعداء الله تعالى من المشركين والمرتدين ، وقد أخطأ في بعض اجتهاداته ؛ فهو معذور مأجور ، لا يُقر على خطئه ، ولا يؤثم في اجتهاده ؛ وهذا عين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لم يقره على فعله ببني جذيمة ، ولم يؤثمه أو يعاقبه ، وكذلك فعل الصديق - رضي الله عنه - ؛ فإنه عاتبه على اجتهاداته الخاطئة لكنه لم يعزله أو يؤثمه ؛ بخلاف عمر - رضي الله عنه - الذي أداه اجتهاده في خالد إلى عزله وتولية أبي عبيدة ، رضي الله عنهم أجمعين .
شبهه والرد عليها :

وقد نقل بعض المؤرخين بعض الروايات التي يُشم منها رائحة اتهام الصحابة - رضي الله عنهم - بالهوى ، وأن عزل عمر لخالد - رضي الله عنهما - كان لهوى في نفسه ، وكرهية لخالد ، ويذكرون قصة مصارعة قديمة بين خالد وعمر - رضي الله عنهما - وفيها : أن خالداً صرع عمر وكسر رجله ، فحملها عمر في نفسه ، فلما تولى الخلافة عزله ... إلخ .

وهذه النقول وما أشبهها باطللة من وجوه عدة ، منها :
أولاً: أن الأصل في الصحابة - رضي الله عنهم - سلامة صدور بعضهم على بعض ؛ كما وصفهم الله تعالى بذلك في قوله سبحانه في وصف أهل الحديبية : [أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] (الفتح : 29) ، وعمر - رضي الله عنه - من أهل الحديبية ؛ فكيف يكون في صدره شيء على مؤمن مجاهد كخالد - رضي الله عنه - ؟

وقال سبحانه في وصف التابعين للصحابة بإحسان : [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا] (الحشر : 10) ، فإذا كان هذا الوصف في التابعين فالصحابة أولى به ، ولا سيما مَنْ كان من المهاجرين السابقين كعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، والقادة المجاهدين كخالد بن الوليد - رضي الله عنه - .
فلا يُترك هذا الأصل المتين لمجرد روايات تاريخية يتناقلها القصاص والإخباريون ليس لها خطام ولا زمام .

قال ابن حزم - رحمه الله تعالى - : « فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم ، ورضي الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ؛ فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة » [20] .

ثانياً : أن من المستفيض المتواتر أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أنصح الناس للأمة ، وزهده وعدله وسيرته تنضح بالأمثلة والشواهد الكثيرة على ذلك ، وليس هذا مقام عرضها وسردها ، فلا يُظن به وهو الناصح الأمين الذي كان يتفقد أحوال الرعية أن يغش الأمة ، ويعزل قائداً هي محتاجة إليه لولا أنه رأى المصلحة تقتضي ذلك ، وليس لنفسه أي حظ من ذلك .

ثالثاً : أن عمر - رضي الله عنه - من كبار الصحابة ، ومن الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرت الأمة كلها على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم ، واقتفاء سيرتهم ؛ وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » [21] .

فلو كان عمر - رضي الله عنه - صاحب هوى ، يقدم هواه على مصلحة الأمة ؛ فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يزكيه ، ويأمر الأمة باتباع سنته؟! وهل يقره الله تعالى على هذه التزكية؟! فهذا مما يدل على بطلان هذه الروايات التاريخية التي فيها نيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وينبغي لكل مسلم قرأ قصة ، أو اطلع على خبر لا يليق بالصحابة - رضي

الله عنهم - أن لا يقبله ويسلم به ابتداءً ؛ بل يرجع إلى النصوص الثابتة في الكتاب والسنة ويقضي بها على هذه الروايات التي غالباً ما تكون منقولة عن أهل البدع والضلالات ، أو في أسانيدھا مجاهيل لا يُعرفون ، أو مناكير لا يُقبلون ، أو كانت بلا أسانيد . فمن سار على هذه الطريقة كان منهجه صواباً ؛ لأنه قدّم الثابت من المنقول على غير الثابت .

ولا يلزم من هذا التأصيل الحكم بعصمة الصحابة - رضي الله عنهم - ؛ بل هم بشر يجتهدون فيصيبون ويخطئون ، وهم أقرب إلى الصواب من غيرهم ، ولا سيما مَنْ كان من السابقين منهم إلى الإسلام . بيد أن تلك التهمة التي اتهم بها عمر - رضي الله عنه - يلزم منها خيانة الأمة ، وتقديم هوى النفس على المصلحة العامة ، وحرمان المسلمين من قائد ما نُكست له راية !! وهذا الاتهام غير مقبول في الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .
رابعاً : أن الروايات التاريخية المستفيضة تدل على أن خالداً - رضي الله عنه - كان مجتهداً في أفعاله التي لم يرضها الصديق ولا الفاروق - رضي الله عنهما - ، كما تدل على اجتهد عمر في عزله لتحقيق مصلحة أكبر من مصلحة بقائه قائداً . وتدل أيضاً على دوام المحبة بينهما حتى بعد العزل ، وهذه الروايات تدحض كل ما ينقل مما فيه اتهام لعمر - رضي الله عنه - بالهوى .
ومن تلکم الروايات سوى ما ذكرته سابقاً ما يلي :

1- أن عمر - رضي الله عنه - كان عازماً على تولية خالد - رضي الله عنه - الخلافة من بعده ، ومعلوم أن منصب الخلافة أعظم من مجرد قيادة الجيوش في الشام ؛ ولكن خالداً - رضي الله عنه - توفي قبل وفاة عمر - رضي الله عنه - ؛ ودليل ذلك ما رواه الشاسي في مسنده عن أبي العجفاء السلمي قال : (قيل لعمر : لو عهدت يا أمير المؤمنين ! قال : لو أدركت أبا عبيدة ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي : لِمَ استخلفتَه ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليتك يقول : « لكل أمة أمين ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة » ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ، فقدّمت على ربي لقلت : سمعت عبدك وخليتك يقول : « خالد سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ») [22] .

2- ما ذكره سيف بن عمر من أن عمر - رضي الله عنه - لما رأى زوال ما كان يخشاه من افتتان الناس بخالد - رضي الله عنه - ؛ عزم على أن يوليه بعد أن يرجع من الحج ، ولكن القدر سبق إلى خالد - رضي الله عنه - فتوفي قبل ذلك . [23] .

3- أن عمر أمر أبا عبيدة أن يستشير خالداً - رضي الله عنهم أجمعين - في أمور الحرب حتى بعد عزله [24] ؛ فلو كان في نفس عمر شيء على خالد - رضي الله عنهما - لما جعله مستشاراً لأبي عبيدة - رضي الله عنه - .
4- أن خالداً لما حضرته الوفاة أوصى لعمر - رضي الله عنهما - ، وتولى عمر وصيته [25] ، وهذا يدل على المحبة بينهما ؛ لأن الشخص لا يوصي إلا لمن يحب ويثق في أمانته وحزمه وورعه ، والوصي لا يقبل تولي وصية إلا من يحب ؛ لأن في تنفيذها جهداً ومشقة .

5- تزكية خالد لعمر عند أبي الدرداء - رضي الله عنهم - وإخباره بأن عمر باب مغلق دون الفتن والمنكرات ؛ فقد قال خالد لأبي الدرداء - رضي الله عنهما - : « والله يا أبا الدرداء ! لئن مات عمر لترين أموراً تنكرها » [26] .
وفي المسند أن رجلاً قال لخالد - رضي الله عنه - : « يا أبا سليمان ! اتق الله ؛ فإن الفتن قد ظهرت . فقال : وابن الخطاب حي ؟ إنما تكون بعده » [27] .
فلو كان خالد يعلم أن عمر إنما عزله لهوى في نفسه وليس لمصلحة رآها ؛ فهل

كان سيزكيه هذه التزكية العظيمة؟!

6 - تأثر عمر بموت خالد - رضي الله عنهما - وراثؤه له ، ومدحه بما يستحقه ، ومن كان في نفسه شيء لا يفعل ذلك . روى ثعلبة بن أبي مالك : أن خالداً لما مات ، استرجع عمر مراراً ونكس ، وأكثر الترحم عليه ، وقال : « كان والله سدّاداً لنحر العدو ، ميمون النقيبة ، فقال علي : لِمَ عزلته ؟ قال : عزلته لبذله المال لأهل الشرف وذوي اللسان . قال : فكنت عزلته عن المال ، وتتركه على الجند ! قال : لم يكن ليرضى ! قال : فهلاً بلوته ! » [28] .
ونقل الحافظ عن محمد بن إسحاق قال : « لما مات خالد بن الوليد خرج عمر في جنازته فإذا أمه تندبه وتقول :

أنت خير من ألف من ألق من القوم إذا ما كنت في وجوه الرجال
قال : فقال عمر : صدقتِ والله ، إن كان كذلك ! » [29] .

وروى إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه موسى قال : « خرجت مع أبي طلحة إلى مكة مع عمر ، فبينما نحن نحط رواحلنا إذ أتى الخبر بوفاة خالد ، فصاح عمر : يا أبا محمد ! يا طلحة ! هلك أبو سليمان ، هلك خالد بن الوليد ... » [30] .
ونقل الحافظ أن خالداً - رضي الله عنه - لما جُهِزَ بكتفه البواكي ، فقيل لعمر : « ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقعاً ولا لقلقة » [31] .

فهذه الروايات الكثيرة تثبت مدى محبة الصحابة بعضهم لبعض - رضي الله عنهم - ، كما تثبت أن عزل عمر لخالد - رضي الله عنهما - كان اجتهاداً رأى فيه عمر مصلحة الأمة ، ولم يكن لهذا العزل تأثير على بقاء المحبة والألفة بينهما إلى أن مات خالد فتولى عمر وصيته ، والله أعلم .

(*) رئيس تحرير مجلة الجندي المسلم .

(1) الصارم المسلول (1087-3/1088) .

(2) المصدر السابق .

(3) رواه أبو داود ، رقم (4833) ، والترمذي ، رقم (2379) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) الكفاية للخطيب (49) ، وتهذيب الكمال (19/96) .

(5) البداية والنهاية (7/76) .

(6) السياسة الشرعية (1/18) ، وانظر : مجموع الفتاوى (28/258) .

(7) انظر : البداية والنهاية (6/241) .

(**) ذمّره : حظه وشجعه .

(8) البداية والنهاية : (6/242) .

(9) قال ابن قتيبة : (ميلغة الكلب : الطرف الذي يلغ فيه الكلب إذا شرب ، وأراد : أنه أعطاهم قيمة

كل ما ذهب لهم حتى ميلغة الكلب التي لا قدر لها ولا ثمن ؛ لأن الكلب إنما يولغ في قطعة من صحفة

أو جفنة قد انكسرت) اهـ ، غريب الحديث ، لابن قتيبة (2/142) ، وانظر : النهاية ، لابن الأثير (5/

225) .

(10) انظر : سيرة ابن هشام (96-5/95) ، والاستيعاب (2/428) ، وطبقات ابن سعد (2/

148) ،

والحديث أخرجه البخاري ، رقم (7189) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

- (11) فتح الباري (13/193 - 194) .
- (12) انظر : البداية والنهاية (6/241 - 242) .
- (13) الإصابة (3/73) .
- (14) الإصابة (3/74) .
- (15) البداية والنهاية (7/80) .
- (16) المسند (3/375) ، ورواه النسائي في السنن الكبرى ، رقم (8283) ، و البيهقي (3/475) ،
- و الطبراني في الكبير (298/22-299) برقم : (760-761) ، قال الهيثمي في الزوائد (9/349) :
- (رواه أحمد والطبراني بنحوه ، ورجالهما ثقات) .
- (17) البداية والنهاية (7/81) .
- (18) البداية والنهاية (7/93) .
- (19) سير أعلام النبلاء (1/378) .
- (20) الفصل في الملل والنحل (4/148) .
- (21) رواه أحمد (4/126-127) ، و أبو داود ، رقم (4607) ، و الترمذي وقال : حسن صحيح ، رقم (2676) ، و ابن ماجه ، رقم (44) ، وصححه ابن حبان ، رقم 5 ، و الحاكم ووافقه الذهبي (1/95) .
- (22) سير أعلام النبلاء (1/373) .
- (23) انظر : الإصابة (8/98) .
- (24) انظر : البداية والنهاية (7/67) .
- (25) انظر : السير (1/382) ، والإصابة (3/74) .
- (26) السير (1/382) .
- (27) رواه أحمد (4/90) ، والطبراني في الكبير (3841) ، والأوسط (8474) .
- (28) السير (1/383) ، والبداية والنهاية (7/117) .
- (29) الإصابة (13/112) .
- (30) السير (1/382) ، والإصابة بنحوه (3/47) .
- (31) الإصابة (13/112) النقع : وضع التراب على الرؤوس ، والقلقلة : رفع الصوت بالبكاء ، وورد بنحوه عن أبي وائل عند الحاكم (3/297) ، و ابن عبد البر في الاستيعاب (3/169) ، وعلقه البخاري في صحيحه ، وقال الحافظ في الفتح (1/161) : (وصله المصنف في التاريخ الأوسط) ،
- وانظر : التاريخ الأوسط (33) ، والتاريخ الصغير (1/46) .